

أضواء البيان

@ 437 أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا فَادْهَبْ بِأَيَاتِنَا إِنَّكَ مَعَ كُفُّوا إِنَّ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ { فهذه الآيات تبين أنه سأل ربه أن يرسل معه أخاه ، فأجاب ربه جل وعلا سؤاله في ذلك . وذلك يبين أن الهبة في قوله : { وَادْهَبْ } هي في الحقيقة واقعة على رسالته لا على نفس هارون ، لأن هارون أكبر من موسى ، كما قاله أهل التاريخ . قوله تعالى : { وَادْهَبْ } فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّكَ كَانِ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا } . أمر اﷻ جل وعلا نبيه صلى اﷻ عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يذكر في الكتاب وهو هذا القرآن العظيم (جده إسماعيل) ، وأثنى عليه أعني إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً . ومما يبين من القرآن شدة صدقه في وعده : أنه وعد أباه بصبره له على ذبحه ثم وفى بهذا الوعد . ومن وفى بوعده في تسليم نفسه للذبح فإن ذلك من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده . قال تعالى : { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنِّيْ إِنْ رَأَى الْوَدَّامَ أَنْزَى أَدْبَحْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَابُنِّيْ أَفُعَلْ مَا تُمَرُّ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللَّهِ مِنْ الصَّابِرِينَ } فهذا وعده . وقد بين تعالى وفاءه به في قوله : { فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَّاهُ لِلْجَبِينِ } . والتحقيق أن الذبيح هو إسماعيل . وقد دلت على ذلك آيتان من كتاب اﷻ تعالى دلالة واضحة لا لبس فيها . وسنوضح ذلك إن شاء اﷻ غاية الإيضاح في سورة (الصافات) . وثناؤه جل وعلا في هذه الآية الكريمة على نبيه إسماعيل بصدق الوعد يفهم من دليل خطابه أعني مفهوم مخالفته أن إخلاف الوعد مذموم . وهذا المفهوم قد جاء مبيناً في مواضع آخر من كتاب اﷻ تعالى . كقوله تعالى : { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا } وقوله : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . وفي الحديث : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان) وقوله تعالى في هذه الآية : { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ } ، قد بين في مواضع آخر أن نبينا صلى اﷻ عليه وسلم كان يفعل ذلك الذي

أثنى الله عليه به على جده إسماعيل ، كقوله تعالى : { وَأَوْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَصُمْ طَيِّبِ الزَّكَاةِ } . ومعلوم أنه امتثل